من رجال الفكر فى تركيا :

فؤاد كوبريلى [1]

للأستاذ عطا الله طرزى باشى

تحدثت إلى القراء فى عدد مضى من الرسالة [2] عن المفكر التركى الكبير ضياء كوك آلب وعن أثره العظيم فى تنشئة جيل يفهم للقومية معنى صالحاً، ويقيم للانسانية وزناً عادلا

وأعود إليهم اليوم لأحدثهم عن أحد تلامذته المعروفين فى الأوساط العلمية العالمية ، وأعنى به العلامة فؤاد كوبريلى الذى سطع نجمه فى تلك الأوساط بما أسداه من خدمات جليلة فى رفع شأن الأدب الشرقى؛ وإلباسه تاريخ التصوف ثوباً قشيباً من نسج الحقيقة ؛ فنال بذلك استحسان الأندية الثقافية وكوفئ بشهاداتها العالية وأوسمتها البهية الغالية التى لم يفز بها أحد من علماء الترك قبله ، فاستحق من جانب الحكومة التركية كل إعجاب وتقدير ، حتى ضمته الأمة إلى صدرها فكان كوبريلى من بين الثلاثة [3] الذين أسسوا الحزب الديمقراطى فى تركيا [4] وذلك فى سنة ١٩٤٦ . فهو اليوم بلا شك قطب من أقطاب السياسة الذين يديرون دفة الحكم فى تركيا

ولنضرب فى هذه العاجلة صفحاً عن حياته السياسية القصيرة التى لا تتجاوز العشر سنوات الأخيرة من عمره ، ونجعل موضوع بحثنا يدور حول ترجمة مختصرة لحياته، ودراسة مجملة لآثاره، وأخيراً ذكر أقوال الكبار من المستشرقين والعلماء فيه

٥ ٥ ٥

ولد كوبريلى فى سنة ١٨٩٠ م بمدينة الآستانة من عائلة (كوبريلى) المشهورة فى التاريخ العثمانى برجالاتها البارزين فى السياسة والتنظيم ، والمعروفين بنشر الثقافة والتعليم

وكان هو خلال دراسته الثانوية والجامعية (حيث درس فى كلية الحقوق) مثالا للجد والنشاط فتميز بين أقرانه بذكائه الوقاد وامتاز عليهم بما كان ينشره بين حين وآخر من البحوث القيمة والمواضيع الشيقة فى الأدب والتاريخ مما لفت إليه الأنظار فاهتمت به الحكومة إذ رأت أن الحاجة إليه عاجلة فعينته مدرساً فى كلية دار الفنون قبل أن ينال شهادة الحقوق ودون أن يتجاوز سن الثالثة والعشرين

وقد درس كوبريلى التاريخ السياسى فى المدرسة الملكية (كلية السياسة) وتاريخ المدنية فى معهد الفنون الجميلة فى حين أنه كان أستاذاً محاضراً فى كلية الشريعة

وفى سنة ١٩٢٤ عين عميداً لكلية الفنون كما عين فى نفس السنة مستشاراً فى وزارة المعارف

وفى سنة ١٩٢٥ اختارته أكاديميا العلوم الروسية عضواً مراسلا لها (١)

وفى سنة ١٩٢٧ أصبح رئيساً لجمعية التاريخ التركى وانتخب عضواً فخرياً فى الجمعية العلمية المجرية (Korosi esoma) وفى نفس السنة أيضاً منحته جامعة (هايدلبرغ) شهادة دكتوراه فخرية فى الفلسفة . وانتخب فى سنة ١٩٢٩ عضواً فى جمعية الشرق التشيكوسلفاكيه وعضواً فى معهد (الاركيولوجى) الألمانى

وفى سنة ١٩٣٧ نال شهادة دكتوراه فخرية من جامعة أثينا كما نال فى سنة ١٩٣٩ شهادة دكتوراه من جامعة (السوربون) الفرنسية

وقد جمع محاضراته التى ألقاها فى هذه الجامعة الأخيرة فى كتاب (Les origines L'Empire ottoman)

---

(١) المصادر : تاريخ الأدب التركى : للاستاذ نهاد سامى ، ومشاهير الترك لابراهيم علاء الدين وبعض آثار المترجم له ، ومصادر أخرى مذكورة فى صلب المقال

(٢) الصادرة بتاريخ ٢٣ يناير سنة ١٩٥٠

(٣) والآخران هما السيد جلال بايار رئيس الجمهورية والسيد عدنان مندريس رئيس الوزراء

(٤) أراد كوبريلى فى سنة ١٩٤٣ ، إثر قرار الحكومة القاضى بعدم إمكان الجمع بين عضوية المجلس الوطنى والاستاذية ، الاعتزال عن السياسة والعودة إلى الحياة الجامعية للتدريس إلا أن الحكومة لم توافق على ذلك فأحيل على التقاعد حيث حافظ على عضوية المجلس النيابى

(١) وقد فصلته هذه الأكاديميا أخيراً عن منصبه بزعم انخراطه فى سلك السياسة

ومؤلفات هذا المفكر كثيرة جدا أعلمها فى اللغة والتاريخ والاجتماع والأدب [١] . وقد أسس فى تركيا مجلات علمية وأدبية مختلفة كما ساهم فى تحرير عدد غير قليل من المجلات التركية والأجنبية . وكتب فى أصل دائرة المعارف الإسلامية بعض مواد هامة كانت موضع إعجاب العلماء والمفكرين نشرت تلك الأبحاث عند صدور تلك الانسيكلوبيديا .

ومن آثاره كتاب (Influence de Chamanisme turco Mon gol كتبه باللغة الفرنسية ، ومنها كتاب « دراسات فى التاريخ الدينى فى الأناضول » كتبه باللغة الألمانية ونشره فى سنة ١٩٢٢

وألف بالاشتراك مع الأستاذ برتولد Barthold كتاب تاريخ التمدن الإسلامى إذ كتب القسم الأول من الكتاب الأستاذ (بارتولد) فأكمله الأستاذ كوبريلى

وكتابه « تاريخ الأدب التركى » الصادر فى سنة ١٩٣٦ يعد مفخرة من مفاخر التأليف التركى ، إذ هو المصدر الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه فى استنباط الحقائق الأدبية فهو يتميز عن سواه بغزارة المادة ورقة الأسلوب وصحة البحث والوضع المحكم ، حتى لقد قال عنه البروفيسور (F Kraelily) أحد أعضاء أكاديمية العلوم فى « فيانه » : « إن هذا الأثر الخالد يعد تاريخاً لآداب الأقوام التركية الساكنة فى الناطق الممتدة بين ساحل الإدرياتيك وحدود الصين

وإنه لا يقتصر نفعه على العلماء المشتغلين فى هذا الحقل ؛ بل هو دليل لكل من يروم الاطلاع على ثقافة تلك الشعوب الآسيوية عن كثب . . »

وكتابه « المتصوفون الأوائل » أحدث حين صدوره دويا هائلا فى الأوساط العلمية وتردد صداه فى كافة أنحاء العالم . فقد نشر البروفيسور هيار Cl Huart عضو المعهد الفرنسى بمناسبة صدور هذا الكتاب مقالا جاء فيه : « إن هذا الأثر العظيم لم يوضع ليعطى لنا معلومات جديدة ضافية ، وإنما هو أثر خالد يرشدنا إلى أساليب تطبيقية مبتكرة فى أصول النقد الأدبى والتاريخى . . وإذا وجد من يدرسونه بإتقان — وسيكون الباحثون عنه كثيراً — رأوه فاتحة دور عظيم . . »

وتحدث عن الكتاب نفسه Nemeth gyula الأستاذ بجامعة بودابست بقوله : « حقا إن الجهود التى يبذلها الأستاذ فؤاد كوبريلى — ومن معه من تلاميذه — ستكسب تاريخ الأدب فى تركيا لوناً يجعله فى موضع لائق بين تواريخ الأدب للأمم الأخرى . . »

وهكذا نرى أن إعجاب العلماء والمفكرين بالأستاذ كوبريلى يزداد يوماً بعد يوم . وكلما أهدى إلى المكتبة الشرقية أثراً ثميناً وجدناه فى كل مرة يسجل انتصاراً باهراً فى تاريخ الأدب التركى ؛ فقد جعله حافلا بصفات بارزة ممتازة ، وأعطاه مزاياه البديعة التى كانت كامنة بين طيات الكتب المختفية فى جوانح المكتبات

وله أبحاث جد قيمة فى تاريخ التصوف الإسلامى . وهى دراسات عميقة للطوائف والنحل والشيع الإسلامية فى مختلف العصور ، تبحث فى آداب هذه الأقوام وتاريخها ومعتقداتها وشعائرها ...

وفى هذا يقول المؤرخ العراقى المعروف الأستاذ عباس العزاوى ، وقد زار كوبريلى فى سنة ١٩٣٧ فى استانبول : « إنه يعد من أشهر المدققين فى الآداب والنحل ، له تتبعات فى نواح علمية لها مكانتها من الثقافة التركية ... ولا بركن فى بحوثه كلها إلا إلى نصوص تاريخية ، فهو من الموفقين فى ذلك ، ومقالاته فى دائرة المعارف الإسلامية مهمة جدا [١] . »

وقد قضى الأستاذ كوبريلى غالب أوقاته بين الكتب ، فهو مغرم بها ، ولا يهوى فى الحياة غير البحث والتنقيب . وتعتبر خزانة كتبه فى استانبول من أعظم الخزانات فى الشرق بما تضمه من أنفس الكتب المخطوطة والمطبوعة . يفتحها للزائرين . ولا يبخل بعلمه على من هو فى حاجة إليه. فقد قال عنه Paul witteh « إن داره الشبيهة بالبرج المطلة على بحر مرمرة تحوى كنزاً من الجواهر الفكرية . . ولم يوجد من دخل فيها وتركها دون أن

(١) وكوبريلى فى نفس الأمر شاعر مجيد . له منظومات شعرية كثيرة متداولة بين الناس ، ولد جمع قسما منها فى كتب ونشرها فى استانبول منها منظومته المعروفة « جما الروى »

١ — الكاكائية فى التاريخ، ص ٢٢